المحاضرة السادسة

إعداد: د. نوال بومعزة

تلقي المناهج النسقية في النقد المغاربي

إذا كانت بدايات النصف الثاني من القرن العشرين تؤرخ لميلاد وبدايات نضج المناهج السياقية في النقد الأدبي المغاربي ، فإن عقد الثمانينيات هو عقد تلقي المناهج النسقية التي كانت ثورة على المناهج السياقية من خلال مجموعة من النقاد الذين تبنوا هذه المناهج ودافعوا عنها في جميع أقطار المغرب العربي ، حيث يعود ظهور أولى الدراسات التي توسلت المناهج النقدية النسقية في المغرب العربي إلى أواخر السبعينيات ، من خلال ما نشره محمد برادة " محمد مندور وتنظير النقد العربي "[1] ومحمد بنيس " ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب "[2]. وغيرهما من النقاد السباقين لتبني هذه المناهج التي لم تمر تطبيقاتها في النقد المغاربي دون أن تثير الكثير من الجدل، فرغم تحمس النقاد والباحثين لها فإن نفرا من هؤلاء رفضها بحجة أن هذه المناهج حولت النص الأدبي إلى نظام من الرموز والإشارات والاقتباسات بعد أن حصرته في بنيته اللغوية دون اعتبار لأي تأثير خارجي ، وعلى ما في هذه النظرة من قصور واضح . لأن مثل هذه المناهج أعمق وأوسع من أن نختصرها في هذه الرؤية السطحية . إلا أن هذا لا يمنع من الإشارة إلى عديد الاختلالات والاختلافات التي رافقت تطبيق هذه المناهج ، ليس من بلد إلى آخر فحسب ، ولكن من ناقد إلى آخر داخل البلد الواحد .

تلقي البنيوية في النقد المغاربي:

يمكن القول أن النقد التونسي كان سباقا في تلقي وتبني المنهج البنيوي ، وذلك من خلال دراسة الناقد حسين الواد الموسومة : " البنية القصصية في رسالة الغفران " [3]التي يعود تاريخ ظهورها إلى العام 1972 ، وهي عبارة عن بحث جامعي لنيل شهادة الكفاءة في البحث ، أشرف عليه الناقد المعروف توفيق بكار ، الذي وضع مقدمة هذه الدراسة عند نشرها فأشار إلى أن حسين الواد " ينطلق في تجربته من مبادئ الإنشائية الهيكلية (poétique structurale) كما

---

[1] محمد براد ,محمد مندور و تنظير النقد العربي ,ط01,دار الآداب , بيروت , لبنان, 1979 .

[2] محمد بنيس, ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب (مقاربة بنيوية تكوينية) , ط1 ,دار العودة , بيروت , 1979 .

[3] حسين الوادا لبنية القصصية في رسالة الغفران, ط03 , الدار العربية , تونس , 1988 .

تمثلت في كتابات تودوروف خاصة بعد نشأتها الأولى مع الشكليين الروس في بداية العشرينات "[4].ولعله من الطبيعي أن تفتقر مثل هذه الدراسات . التي تمثل باكورة الدراسات النقدية النسقية. للصرامة المنهجية التي بدأت تظهر فيما بعد ، مع الدراسات التي جاءت بعدها ، سواء تلك التي تبنت المنهج البنيوي الشكلاني أو المنهج البنيوي التكويني ، حيث نشير إلى اكتساح هذا الأخير المشهد الأدبي المغاربي من خلال مجموعة من الدراسات التي نذكر منها: دراسة الطاهر لبيب الموسومة : سوسيولوجيا الغزل العربي (الشعر العذري نموذجا) ، التي تعتبر واحدة من أهم الدراسات التي تبنت المنهج البنيوي التكويني ، خاصة وأن سنوات إنجازها تعود إلى 1972 ، أي بعد ظهور البنيوية التكوينية بسنوات قليلة ، ويبدوا وأن إرهاصات هذه الدراسة قد استفادت من ملاحظات وتوجيهات لوسيان غولدمان ذاته ، كما يشير إلى ذلك الطاهر لبيب [5].

كما يمكن أن نذكر دراسة محمد برادة الموسومة ب: " محمد مندور وتنظير النقد العربي "[6] وهنا لابد أن نشير إلى أن محمد برادة من النقاد العرب الذين تمثلوا البنيوية التكوينية لأنهم تلقوا مبادئها من مصادرها الأساسية على أيدي أساتذة وباحثين فرنسيين متخصصين فيها . فقد تقدم لجامعة السوربون ببحث لنيل شهادة الماجستير تحت عنوان (محمد مندور وتنظير النقد العربي) وقد أشرف عليه أندريه ميكيل André Michael ، وهو بحث اعتمد فيه البنيوية التكوينية التي يرى في منهجها وسيلة لتخليص نقدنا العربي من هالات التقديس والتبرير القائم على أحكام مسبقة [7] .

ناقد آخر يمكن اعتباره من رواد البنيوية التكوينية في المغرب العربي وذلك من خلال دراسته الموسومة ب : " ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب- مقاربة بنيوية تكوينية"[8] الصادر عام 1979 ، ومع كل هذا فإن أكثر الأسماء النقدية المغاربية التي تمثلت المنهج البنيوي التكويني يبقى .

---

[4] المرجع نفسه , ص 06 .

[5] الطاهر لبيب سوسيولوجيا الغزل العربي (الشعر العذري نموذجا) تر مصطفى المسناوي , ص 07 ,دار الطليعة , لبنات , 1987 .

[6] محمد برادة, محمد مندور و تنظير النقد العربي , دار الأداب , بيروت , 1979 .

[7] المرجع نفسه ص 14 .

[8] محمد بنيس,ظاهرة الشعر المعاصرفي المغرب (مقاربة بنيوية تكوينية) ,ص49 ,دار العودة , بيروت , 1979 .

حسب اعتقادنا. إدريس بلمليح من خلال دراسته الموسومة : " الرؤية البيانية عند الجاحظ"[9] ، هذا دون أن ننسى الكثير من الأسماء النقدية الأخرى من مختلف الأقطار المغاربية ، حيث يمكن أن نذكر من الجزائر عمر عيلان الذي خصص إحدى دراساته لتحليل روايات عبد الحميد بن هدوقة ، في محاولة للإجابة عن أسئلة هي من صميم النقد الأدبي ونظرية الأدب ، كما يقول ، لأنها تخص العلاقة بين الأبنية الفكرية الفلسفية ، وتمثلها في النصوص الإبداعية الروائية [10].

كما يمكن أن نذكر من موريتانيا الباحث أحمد سالم ولد اباه الذي تناول في إحدى دراساته ، ظاهرة التهجين المنهجي في النقد العربي الحديث من خلال ثلاثة نماذج توسلوا البنيوية التكوينية ، وهم : كمال أبو ديب ، يمنى العيد ، صالح سليمان عبد العظيم .[11] وغيرهم من النقاد والباحثين .

تلقي السميائية في النقد المغاربي :

مثلما كان النقاد التونسيون سباقين في توسل المنهج البنيوي ، فقد حاولوا أيضا أن يكون لهم قصب السبق في توسل المنهج السميائي ، من خلال الدراسة التي تقدم بها علي العشي لكلية الآداب والعلوم الانسانية بجامعة تونس ، للحصول على شهادة الكفاءة في البحث العلمي ضمن المرحلة الثالثة من التعليم العالي ، والموسومة ب : " تحليل سميائي للجزء الأول من كتاب الأيام لطه حسين "[12] لكن هذه البداية غير المسبوقة لم تتعزز بدراسات مماثلة إلا بعد زمن من خلال بعض الباحثين التونسيين الذين اهتموا بهذا المنهج على غرار جميل شاكر ، سمير المرزوقي ، محمد الناصر العجيمي وغيرهم .

---

[9] ادريس بلمليح, الرؤية البيانية عند الجاحظ, دار الثقافة , الدار البيضاء , المغرب , 1984 .

[10] عمرو عيلان, الأيديولوجيا و بنية الخطاب الروائي (دراسة سوسيوبنائية في روايات عبد الحميد بن هدوقة), منشورات جامعة منتوري بقسنطينة , الجزائر , 2001 , ص 02 .

[11] أحمد سالم ولد اباه , البنيوية التكوينية و النقد العربي (دراسة لفاعلية التهجين) ط01 , الدار العربية للكتاب , 1984 , ص 119 .

[12] توفيق الزيدي : أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث من خلال بعض نماذجه,ط01, الدار العربية للكتاب , 1984 , ص 119 .

وعلى العكس من التونسيين ، فإن الباحثين السميائيين المغاربة يدينون للناقد الفرنسي المعروف رولان بارت بالكثير في التأسيس للمنهج السميائي ، خاصة وأن بارت سبقت له الإقامة في المغرب والتدريس في جامعاتها وثانوياتها في ستينيات القرن الماضي ولذلك فلا نكاد نقف على مرجع من مراجع النقد السميائي المغربي لا يحيل على كتاباته التي تمت ترجمة أغلبيتها إلى اللغة العربية بداية بترجمة محمد برادة لكتاب (Le degré zéro de l'écriture) تحت عنوان " الدرجة الصفر للكتابة " [13]رغم أن هذا الكتاب ليس من صميم الدرس السميائي ، شأنه في ذلك شأن كتب أخرى لرولان بارت ، سارع المغاربة إلى ترجمتها ، والتي لن نتطرق إليها ونكتفي بتلك التي تتعلق بالمنهج السميائي ، ككتاب (Eléments de sémiologie (الذي ترجمه محمد البكري العام 1983 ، تحت عنوان " مبادئ في علم الأدلة " [14]

ومن كتب بارت التي تهتم بالمنهج السميائي ، والتي لم يتأخر المغاربة في ترجمتها ، كتاب له بعنوان : (Le Bruissement de la langue) وهو عبارة عن مجموعة مقالات كتبها بين سنتي 1964 و 1980 ، وتم نشرها بعد وفاته بأربع سنوات ؛ أي سنة 1984 ، هذه المقالات التي يمكن ترجمها إلى العربية تحت عنوان : (وشوشة اللغة) تتناول عديد المواضيع التي تتعلق بالأدب واللغة والعلامات وغيرها ، إضافة إلى كتاب آخر عنوانه : (Legon) ، وهو عبارة عن الدرس

الافتتاحي لكرسي السيميولوجيا الأدبية في بالكوليج دو فرانس الذي ألقاه رولان بارت يوم 07 جانفي 1977 [15]

هذان الكتابان ترجمهما عبد السلام بنعبد الله ، سنة 1985 ، في كتاب واحد تحت ولم تتوقف ترجمة بارت عند هذا الحد إنما شملت عنوان : " درس السيميولوجيا " [16] ,ولم تتوقف ترجمة بارت عند هذا الحد إنما شملت دراسات وكتب أخرى ، نستطيع أن نذكر من بينها ، كتاب (L'aventure sémiologique) الذي ترجمه عبد الرحيم حزل ، تحت عنوان : " المغامرة

---

[13] رولان بارت: مبادئ في علم الأدلة , تعريب ,حد البكري ط02 , دار الحوار للنشر و التوزيع اللاذقية, سوريا 1987 .

[14] رولات بارت , مبادئ في مبادئ في علم الأدلة ,تعريب حمد البكري ,ط02,دار الحوار للنشر و التوزيع , اللاذقية, سوريا , 1987 .

[15] رولان بارت ، درس السيميولوجيا ، تر ، عبد السلام بنعبد العالي ، ط 03 ، دار توبقال للنشر ، 1993 ، ص 09 .

[16] المرجع نفسه .

السيميولوجية[17] ، ناهيك عن كتب أخرى في مجالات معرفية أخرى لا يتسع المقام للوقوف عندها كلها .

طبعا هذا لا يعني أن التأسيس السميائي في المغرب اقتصر على ترجمة رولان بارت فقط وإن كانت هذه الترجمة تشكل عموده الفقري ولكنه أيضا تضمن بعض الدراسات الهامة ، كتلك التي أنجزها محمد مفتاح العام 1982 تحت عنوان : " في سمياء الشعر القديم "[1] رغم أن هذه الدراسة ليست خالصة كلها لوجه السمياء ، كما يشير محمد مفتاح نفسه إلى ذلك في مقدمة هذا الكتاب ، عندما يقول " وقد اخترت قصيدة أبي البقاء الرندي (النونية) لتحقيق نياتي ، ولتطبيق عناصر " نظرية " نحتتها مما ورد عند بعض النقاد العرب القدامي من مبادئ ، ومما انتهت إليه الدراسات الشعرية . السميائية الآن فالمحاولة إذن تدخل ضمن القراءة المتعددة "[2]. هذا فضلا عن دراسات أخرى كتلك التي أنجزها محمد السرغيني تحت عنوان " محاضرات في السيميولوجيا "[3]. ومن بين السميائيين المغاربة النشيطين يمكن أن نذكر أيضا حنون مبارك ، ومؤلفاته العديدة ومنها على وجه الخصوص " دروس في السميائيات "[4]الذي صدر العام 1987 ، ولم تتوقف مجهودات النقد السميائي المغربي عند هذه الأسماء إنما شملت أسماء أخرى نستطيع أن نذكر منها سعيد يقطين . فريد . أمعضشو ، دون أن ننسى السميائي الأبرز سعيد بنكراد ، من خلال عديد المؤلفات والترجمات

البحث السميائي الجزائري لم يكن بنفس نشاط وكثافة نظيره المغربي ، ويتفق أغلب الدارسين على أن عبد المالك مرتاض هو أول جزائري توسل السميائية من خلال دراسه الموسومة ب : " الف ليلة وليلة : تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمل بغداد "[5]التي ظهرت العام

---

[17] رولان بارث ، المغامرة السيميولوجيا ، تر ، عبد الرحيم حزل ، دار تينمل للطباعة والنشر ، مراكش ، ط 1 ، 1993.

[1] - محمد مفتاح : في سمياء الشعر القديم ، دراسة نظرية وتطبيقية ، د.ط ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1989

[2] - محمد مفتاح : في سمياء الشعر القديم ، دراسة نظرية وتطبيقية (مرجع سابق) ، ص 05 .

[3] محمد السرغيني ، محاضرات في السيميولوجيا ، ط 01 ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1987.

[4] - حنون مبارك ، دروس في السميائيات ، ط 01 ، دار طوبقال ، الدار البيضاء المغرب ، 1987 .

[5] - ألف ليلة وليلة : تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد ، ط 01 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1993 .

1989 ، والملاحظ على هذه الدراسة وغيرها من دراسات مرتاض نزوعها للاشتغال على التراث ، وهو نفس نزوع الباحث أحمد يوسف من خلال بعض مؤلفاته ، خاصة دراسته الموسومة ب " المنطق السميائي وجبر العلامة " [6]

ومن الباحثين الجزائريين الذين اهتموا بالسميائيات ، نستطيع أن نذكر عبد الحميد بورايو ، الذي يعتبره البعض أب السميائيات في الجزائر [7]وتلميذه رشيد بن مالك الذي لايكاد يفوت فرصة الحديث عن السميائيات إلا وأشار إلى صعوبتها ، رغم أنه تتلمذ على أيدي .

مؤسسيها في فرنسا ، من أمثال : " غريماس ، كورتاس ، جيرار جينيت ، جان بيار غولدانستاين ، جوليا كريستيفا وغيرهم[8]

تلقي الأسلوبية في النقد المغاربي:

يرتبط ظهور النقد الأسلوبي في المغرب العربي بالباحث عبد السلام المسدي الذي يعتبر أحد أعلام هذا النقد في الوطن العربي ، فهو صاحب عدد لا يستهان به من الدراسات الأسلوبية ، التي يمكن أن نؤرخ لبدايتها بالعام 1977 ، وهو تاريخ صدور كتابه الشهير " الأسلوبية والأسلوب " ، الذي هو ثمرة المحاضرات التي ألقاها على طلبة كلية الآداب بالجامعة التونسية الموسم (1974/1975)[9]. إضافة إلى الدراسات الأخرى التي خصصها المسدي للبحث الأسلوبي ، والتي نستطيع أن نذكر منها تلك التي عنونها ب " النقد والحداثة "[10] ، وصدرت طبعتها الأولى العام 1983 ، كما يمكن أن نذكر من الرعيل الأول الذي حاول أن يؤسس للمنهج الأسلوبي في النقد

---

[6] - أحمد يوسف : السميائيات الواصفة (المنطق السميائي وجبر العلامة) ط 01 ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، الدار العربية للعلوم ، لبنان ، 2005 .

[7] - ينظر : علي ملاحي ، حوار مع الستاذ الدكتور عبد الحميد بورايو ، مجلة التبيين (ثقافية متنوعة محكمة ، تصدر عن جمعية الجاحظية) العدد 33 ، نوفمبر 2009 ، ص (من 142 إلى 156) .

[8] -. مجموعة مقالات لمشال أريفيه وآخرين ، السميائية أصولها وقواعدها ، تر ، رشيد بن مالك ، مراجعة عز الدين مناصرة ، ط 01 ، منشورات الاختلاف ، 2002 ، ص 11.

[9] - عبد السلام المسدي : الأسلوبية والأسلوب ، ط 03 ، الدار العربية للكتاب ، دت

[10] - عبد السلام المسدي : النقد والحداثة ، ط 02 ، منشورات دار أمية ودار العهد الجديد ، تونس ، 1989.

التونسي ، محمد الهادي الطرابلسي ، ودراسته الموسومة ب : " قضايا الأدب العربي : مظاهر التفكير الأسلوبي عند العرب " [11]

الأسلوبية في المغرب لم تعرف ذات الرواج الذي عرفته البنيوية التكوينية والسميائية ، إذ لا نكاد نعثر إلا على بعض الدراسات المتفرقة هنا وهناك ، ولعل أهمها تلك التي أنجزها حميد الحميداني ، تحت عنوان : " أسلوبية الرواية (مدخل نظري) [12]

حظ النقد الجزائري من الدرس الأسلوبي كان أفضل من حظ المغرب ، حيث نسجل في هذا الإطار تأخرت انطلاقة البحث الأسلوبي في النقد الجزائري المعاصر إلى نهاية ثمانينيات القرن الماضي من خلال الدراسة الهامة التي أنجزها الباحث علي ملاحي، والموسومة ب : " الجملة الشعرية في القصيد الجديد مفهومها وخصائصها ، دراسة أسلوبية "[13] وهي من الدراسات الرائدة التي نعتقد أن البحث الأدبي لم يفها حقها من القراءة والاهتمام ، وربما يعود سبب ذلك إلى إنجازها خارج حدود الجامعة الجزائرية ، لأنها في الأساس عبارة عن مذكرة ماجستير تم إنجازها في جامعة عين شمس بمصر تحت إشراف صلاح فضل الذي يعتبر أحد أعمدة الأسلوبية في الوطن العربي ، وذلك قبل طبعها سنة 2007 في الجزائر .

ولم تقف أبحاث علي ملاحي الأسلوبية عند هذه الدراسة بل تجاوزتها إلى دراسات أخرى نذكر منها : " المجرى الأسلوبي للمدلول الشعري العربي المعاصر"[14] التي يصفها الباحث بأنها رؤية أسلوبية طموحة تسعى إلى تقديم ما يمكن تقديمه من مبررات نقدية من شأنها أن تؤطر الخصوصيات الأسلوبية الكبرى التي تتميز بها الدلالة الشعرية العربية الجديدة[15] ، هذا ناهيك

---

[11] - محمد الهادي الطرابلسي : قضايا الأدب العربي : مظاهر التفكير الأسلوبي عند العرب ، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية ، الجامعة التونسية ، 1978 م.

[12] - حميد الحميداني : أسلوبية الرواية (مدخل نظري) ط 01 ، منشورات سال ، المغرب ، 1989

[13] - علي ملاحي . الجملة الشعرية في القصيد الجديد .ط 01 . أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع . الجزائر ، 2007

[14] - علي ملاحي : المجرى الأسلوبي للمدلول الشعري العربي المعاصر ، .ط 01 . أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع . الجزائر ، 2007

[15] - علي ملاحي : المجرى الأسلوبي للمدلول الشعري العربي المعاصر (مرجع سابق) . ص : 09 .

عن الدراسات الأخرى التي حفلت بها عديد الدوريات والمجلات المتخصصة . ومن الدراسات الأخرى التي توسلت الأسلوبية نستطيع أن نذكر دراسة عبد الحميد بوزوينة

الموسومة " بناء الأسلوب في المقالة عند الإبراهيمي "[16] الصادرة سنة 1988 ، كما يمكن أن نذكر ايضا الباحث نور الدين السد من خلال دراسته الموسومة ب : " الأسلوبية وتحليل الخطاب دراسة في النقد العربي الحديث الأسلوبية والأسلوب "[17] ، إضافة إلى دراسات أخرى أنجزها رابح بوحوش وغيرها من الدراسات التي لا يتسع المقام لذكرها جميعها .

[16] - عبد الحميد بوزوينة ، بناء الأسلوب في المقالة عند الإبراهيمي (دراسة وصفية تحليلية فنية) ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1988

[17] - نور الدين السد : الأسلوبية وتحليل الخطاب دراسة في النقد العربي الحديث (الأسلوبية والأسلوب) ،ج 01 ، دار هومة ، الجزائر ، 1997 .